الفصل الخامس

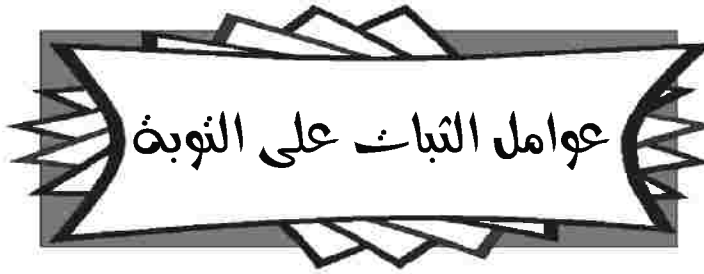

• عوامل الثبات على التوبة:-

واعلم أن للتوبة عوامل تساعدها وتقويها و تشر من أزر العبد على السير في الطريق إلى الله عز وجل منها:

أولا : إخلاص التوبة لله عز وجل :-

وتعني عودة العبد إلى ربه وحده وعدم الرياء والسمعة ورجاء الثواب من الله ويخشى عقابه ويطمع في رضاه .

قال تعالى :

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيِّنة:٥]

وهو أمر جامع لكل المسلمين آلا وهو التوجه لله عز وجل بالعبادة له وحده يقول الفضيل بن عياض: أي أخلص العمل أصوبه فهو الغنى عن الشريك سبحانه فهو يقول " أنا أغنى الشركاء عن الشرك".

ويقول الرسول -ﷺ-: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ منكم ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

فإخلاص العبد لله في التوبة من أهم أعمال القلب فيجب على المسلم أن يكون مخلصاً لله عزوجل لا يريد بهذا العمل رياءً ولا سمعةً ولا ثناءً للناس ولا لمدحهم.

والنية هي أساس العمل وقاعدته ورأس الأمر وعموده وأصله الذي عليه بني فهي روح العمل والعمل تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها.

ولابد في التوبة من نيةً صالحةً فلا تصح إذا لم تكن يُقْصَد بها غير وجه الله وبها يبارك الله في هذه التوبة ويضاعف فيها الأجر والثواب قال رسول الله -ﷺ-: " إن الله عزوجل كتب الحسنات والسيئات ثم بَيَّنَ ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة".

ثانيا: التمسك بسنة النبي -ﷺ-:

بل هي من أهم طرق الثبات على التوبة فهي الطريق الوحيد لبلوغ رضا الرب جل وعلا وبلوغ الجنة، فمحمد -ﷺ- هو أعلم الناس بما يُرضي الله عزوجل وبما ينفع الناس في دينهم.

فالسنة هي الطريقة والسنة النبوية: هي كل ما قاله النبي أو فعله أو ما ارتضاه من مظهره الداخلي والخارجي.

قال بن تيمية " السنة هي ما قام الدليل الشرعي عليه بأنه طاعةً لله ورسوله سواءً فعله رسول الله -ﷺ-أو فعل في زمانه أو لم يفعله لعدم المقتضى حينئذ لفعله أو وجود المانع منه".

بهذا المعنى تكون السنة " إتباع آثار النبي -ﷺ- باطناً وظاهراً وإتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار".

حتى قال بعض السلف : إتبع الأثر بحيث لو وضع النبي -ﷺ- قدمه اليمنى فضع قدمك اليمنى ولو وضع قدمه اليسرى فضع قدمك اليسرى وأتبع الأثر فوالله ستجد في آخر الطريق الجنة والحوض .

* وَرُوِىَ عن عبد الله بن العباس أنه كان حريص على السير في كل جوانب المدينة حتى أنه سئل عن ذلك العمل قال لعلى أصيب مكان مشى فيه رسول الله -ﷺ- .

* السنة هي حصن الله الحصين الذي من دَخَلَه كان من الآمنين وهى تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم وهم المبيضة وجوههم يوم القيامة إذا اسودت وجوه أهل البدع والضلال **قال تعالى** :

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٦]

قال بن عباس: "تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة "مصداقا لقول ربنا جل وعلا ":

﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف:١٠٤]

قال بعض أهل التفسير هم أهل البدع والضلال فهم يحسبون أن ما يفعلون تقرباً لله وهم بذلك يحسبون أنهم يحسنون الصنع.

أهل السنة لهم سَمَتٌ ظاهر يعرفه الناس وعلامات تذكر الغافلين وتذكرهم بالله ومن علاماتهم:

وأهم علاماتهم الاعتصام بالكتاب والسنة والعض عليها بالنواجذ والتحاكم إلى الكتاب والسنة في الأصول والفروع، حبهم لأهل السنة وبغضهم لأهل البدع لا يستوحشون من قلة السالكين لأن الحق يعرفه أهله ولأن الحق ضالة المؤمن يأخذ به وإن خالفه الناس ومن علاماتهم الصدق في الأقوال والأفعال.

وأعلم أنه سيأتي يوم يعض الظالم على يديه ندماً وحسرةً على ما فرط في السنة وعلى إتباعه للشهوات وسلوكه طريق الشيطان ويشعر بشديد الندم على عدم قراءته للقرآن **قال تعالى**:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩]

ثالثا: التمسك بالجماعة:

فالجماعة في الشريعة تعني سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال عبد الله بن مسعود:" الجماعة هي ما وافق الحق وإن كنت وحدك".

- بمعنى إذا فسدت الناس فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك حينئذ مع الجماعة.

قال رسول الله - ﷺ - " إفترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فسبعين في النار وواحدة في الجنة وإفترقت النصارى على اثنتي وسبعين فرقة فإحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة وستفترق أمتي على علي ثلاث وسبعين فرقة اثنين وسبعين في النار وواحدة في الجنة قيل يا رسول الله من هم؟ قال الجماعة " ، وفي رواية الترمذي قالوا ومن هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي".

الجماعة هي القدوة الصالحة الذين يهدون إلى الحق ويعملون به فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والبدع هم الغرباء إذا فسد الناس.

قال رسول الله - ﷺ - " بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريباً كما بدأ فَطُوبى للغرباء".

والغرباء هم أهل السنة هم الذين يحملون علم الدين ويبحثون عن الصحيح من الأحاديث ويبتعدون عن البدع خوفا من أن تحبط أعمالهم ويدلون الناس على الطريق القويم ويحزن الناس لفراقهم فكان أبو أيوب السختياني رحمه الله يقول " إني لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنما أفقد بعض أعضائي".

ومن علامات أهل السنة والجماعة :

أولا: الاعتصام بالكتاب والسنة والعض عليها بالنواجذ.

ثانيا: التحاكم إلى الكتاب والسنة في الأصول والفروع.

ثالثا: حبهم لأهل السنة والمتمسكين بها.

رابعا: لا يستوحشون من قلة السالكين وقلة الصالحين لأن الحق ضالة المؤمن يأخذ به ولو خالفه الناس.

خامسا: الصدق في القول والعمل.

سادسا: التأسي بالرسول وإتيان كل ما أمر به والبعد عن كل ما نهى عنه.

رابعا: ذكر الله عز وجل فهو من أهم وسائل المساعدة على الثبات على التوبة :

واعلم أن للذِكْر فضائل كثيرة :

فلو علمت أن الله يذكرك إذا ذكرته سيساعدك ذلك على الإكثار من ذكره:

قال تعالى :

﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢]

والله سبحانه وتعالى دعا جميع المسلمين إلى الإكثار من ذكره بل وجعلها علامة من علامات الإيمان قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١]

واعلم أن الله أعد للذاكرين والذاكرات العطايا الكثيرة فقد وعدهم بالغفران ومضاعفة الأجر لهم قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ

وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب:٣٥]

بالذكر تكون بعيداً عن الغفلة عن اللّه:

فبالذكر تبقى متذكراً مستيقظاً يقظاً لا يقدر عليك الشيطان أبدا...

قال تعالى:

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ [الأعراف:٢٠٥]

وأعلم أن الفرق بينك وبين الميت هو ذكر الله عزوجل قال رسول الله -ﷺ-: " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت" فالذكر حياة للقلوب تزداد به حلاوة الحياة وبتركه تموت القلوب فيقل الخوف من علام الغيوب.

الذكر هو أفضل الأعمال:

لا يضاهيها أي شيء حتى إنفاق الذهب والفضة ولا الجهاد في سبيل الله قال رسول الله -ﷺ-: "ألا أُنْبئكم بخير أعمالكم و أذكاها عند مليككم وأرفعها في

درجاتكم وخير من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى، قال " ذكر الله تعالى".

واعلم يامن استوحش من الوحدة بأن الله يكون معك حين تذكره وبذكرك لله تكون من المقربين أي من الذين يتقرب الله إليهم قال رسول الله - ﷺ - "يقول الرب تبارك وتعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه باعاً و إن أتاني يمشى أتيته مهرولة".

بشرى يا من تضايقت من كثرة شرائع الإسلام عليك فلا تيأس فعندي العلاج الرباني الذي لو فعلته كنت من الأعلى في الدرجات وتغفر جميع الذنوب والزلات وتنال به رضا الرحمن إذا تمسكت به وتوجهت به إلى الله عزوجل راجياً عفوه ورضاه ومغفرة الذنوب معطراً لسانك بذكره : فعن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه - أن رجلا قال يا رسول الله " إن شرائع الإسلام كثرت عَلَيَّ فأخبرني بشيء أتشبث به قال :لا يزال لسانك رطباً بذكر الله".

وبذكرك لله تضاعف لك الحسنات :

قال رسول الله - ﷺ -: " من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول "ألم"حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف".

واعلم أن مجالس الذكر تؤدى بصاحبها إلى الدخول في مشيئة الله إن شاء عَذبَهُ وإن شاء غفر له قال رسول الله - ﷺ -:" ما جلس قومٌ مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلاّ كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم"

وأعلم أنك لو جلست مجلساً لم تذكر الله فيه قط إلاّ كنت مثل جيفة حمار يوم القيامة وكان لك هذا المجلس حسرةً يوم القيامة على ما فرطت في ذكر الله قال رسول الله -ﷺ-: " ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عنه مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة "

خامسا:الإكثار من الإستغفار:

- إعلم أن الاستغفار من أهم العوامل المثبتة للتوبة:

فالاستغفار: هو طلب المغفرة من العزيز الغفار واللجوء إليه وحده بهذه العبادة فهذه العبادة لا تكون إلاّ لله عزوجل ومن يغفر الذنوب إلا الله قال تعالى على لسان نوح :

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾ [نوح:١]

وللاستغفار فضائل عظيمة منها:-

- إنه سبب للنماء وسبب لزيادة النسل وزيادة الرزق ونزول المطر:

قال تعالى:

﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [نوح:١٠-١٢]

فهذا والله كرم من الكريم يعطى من استغفره على المعاصي وعاد إليه عطاء الكريم لكن لابد أن تبدأ أنت بالاستغفار لله عزجاهه ثم بعد ذلك تأتي الإجابة من الله ومن إله غيره تتوجه إليه راجياً منه مغفرة الذنوب وبعد ذلك يأتي الفرج والتوسعة في الرزق فيا من تشكو من قلة الرزق استغفر الله يوسع عليك من الرزق كل ما تشتهي ويرضيك حتى تقول رضيت يارب فهو يوسع عليك في كل شيء من الأموال والأولاد والزرع وغيرها بل ويحل عليها البركة.

- إنه سبب من أسباب مغفرة الذنوب:

بل هي السبب الرئيسي للمغفرة فإذا عرفت الطريق المؤدى إلى ذلك فاحرص عليه ويلجأ إليها المخطئ راجياً من الله عز وجل أن يغفر ذنبه ويتغاضى عن الزلات والعثرات آملاً منه أن يغفر وأن يتغاضى عما فعله من سيئات.

وقد دعا رسول الله -ﷺ- المسلمين إلى الإكثار منه حيث قال " والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " واعلم أن المغفرة لا تأتي إلا بالصبر على هذه العبادة الجليلة حتى أن الرسول -ﷺ- وهو المعصوم الذي غفر الله له يقوم بفعلها ويصبر على الإتيان بها راجيا من الله العفو والصفح وهو من هو رسول الله -ﷺ- فأصبر على طلب المغفرة بالاستغفار لله الواحد القهار.

- وأعلم أنه ليس هناك سبيلاً آخر للتوبة إلاّ بالاستغفار للعزيز الغفار:

الذي يغفر الذنوب الكثيرة ولكن لابد لك من تقديم طلب إلى صاحب العفو ولا يكون إلاّ بالاستغفار قال رسول الله -ﷺ- " يأيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة " فقدم طلباً الآن بمغفرة الذنوب وأرجو منه أن يقبل وأن يرحم.

- واعلم أنك بترديدك للاستغفار يغفر الله لك كل الذنوب حتى ولو كنت فررت من الزحف:

قال رسول الله -ﷺ- " من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر الله له وإن فر من الزحف" يال كَرَمِهِ يغفر الذنوب الكبيرة وهل هناك بعد الشرك بالله من الهروب من مواطن الجهاد وقال تعالى في الحديث

القدسي:" يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالي ، يابن آدم لو أتيتني بتراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئا غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالي".

- واعلم أن المسلم يعان على قلبه فلا بد له من عمل يؤدى إلى غفران الذنوب وإحياء هذه القلوب مرة أخرى:

ولهذا قال الرسول - ﷺ - " أنه ليعان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة " لأنه إذا ما اعتاد القلب على الذنوب يزان على القلب ويطبع عليه بالمعصية **قال تعالى:**

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطفِّفين:١٤]

لذلك لابد من شيء يحيى هذه القلوب مرة أخرى فلم يجد الرسول علاجاً للذنوب إلاّ الاستغفار منها عسى الله أن يرحم وعسى الله أن يقبل.

إن الذنوب خطرها كبير على النفس إذا ما اعتادها الفرد فهي تؤدى إلى موت القلب كما قال القائل :

رأيت الذنوب تميت القلوب
وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب
وخير لنفسك عصيانها

- واللّه عز وجل حين أمرك بالاستغفار له والتوجه إليه بطلب المغفرة يجب أن تعلم أن اللّه هو الغنى عن كل ما تفعله من أجل التقرب إليه:

كما قال في الحديث القدسي " يا بن آدم لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك من ملكي شيئا ،يا بن آدم لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما قل ذلك من ملكي شيئا " فاللّه هو الغني عن كل الخلق ولكنه دعاك أنت إلى طلب المغفرة منه لتعرف الطريق الصحيح لمغفرة الذنوب ألا وهو التوجه إلى اللّه عز وجل والتذلل له لمغفرة الذنوب قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

[آل عمران:١٣٥]

مع عدم الإصرار على الذنوب ،لأن الإصرار على الذنب يجعل الفرد يستصغر الذنب ويسهل عليه فإن المؤمن يرى ذنوبه كأنها جبل هاوي يخشى أن يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه مثل ذبابة وقعت على أنفه فحرك إليها يده لتطير.

وأعلم أن للاستغفار فضيلة يرجوها كل مسلم ألا وهى دخول الجنة:

قال رسول اللّه - ﷺ - " سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ،خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، وأبوء بذنبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، قال : ومن قالها من النهار

موتنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة" فيا من يريد الجنة قم بترديد هذا الحديث وتداوم عليه لتنول به الرضوان ودخول الجنان والبعد عن النيران ورؤية الرحمن آلا يكفيك أن تتوجه إليه معلنا توحيدك له وطالباً منه العفو والمغفرة لكل الذنوب وطالباً منه أن يقبل وأن يعفو وأن يصفح ومن يغفر الذنوب إلا الله فهو أحق من عبد واعظم من ابتغى إليه مالنا ومصيرنا وإليه يرجع الأمر كله عاجله و آجله وفي يده المقادير فنسأله أن يغفر لنا ويستر عيوبنا.

*** وأعلم أن الاستغفار من الذنوب يكون في كل وقت لكن هناك أوقات محببة إلى اللّه عز وجل يجب أن تستغل لطلب المغفرة:**

ومن هذه الأوقات الثلث الأخير من الليل:

قال رسول الله -ﷺ- "أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل الأخير فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن".

وقال تعالى مادحاً فعلهم من استغفارهم ربهم بالليل وجميع الكون نيام إلاّ هم فَارَقَتْهُم ذنوبهم فلم يستطيعوا النوم وقاموا يستغفرون ربهم على ذنوبهم فالعاقل يعلم ثقل هذه الذنوب فقام بالليل يدعو الله عز وجل ليغفر له ويخفف عنه تلك الذنوب والاستغفار أفضل الذكر لله الواحد القهار لأنه اعترف من العبد بالتقصير والبعد عن الله فيطلب منه عز وجل الصفح والغفران على ما قدم من ذنوب وعلم أن هذا الوقت محبب لله عز وجل فقام من نومه راجياً عوف ربه على ما اقترف من الذنوب لعله يصيب الرضا من الرحمن قال تعالى :﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ

رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ [آل عمران:١٦-١٧]

- ومن الأوقات المحببة إليه عز وجل أيضا ساعة السجود في الصلاة :

قال رسول الله -ﷺ- " اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء" والاستغفار من الدعاء لأنه طلباً للمغفرة من الله عزوجل فكل ما عليك هو الاستغفار للعزيز الغفار وبعد ذلك يأتي الإجابة على استغفارك إياه فيخفف عنك حدة هذه الذنوب لكن لابد أن تتقرب إليه بما يحب من الأفعال وأقرب شيء وأحب شيء إلى ربنا هو سجود العبد له معلنا توحيده لله عزوجل.

- ومن الأوقات المحببة إليه أيضا الاستغفار بعد وقوع الذنب مباشرة:

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

[آل عمران:١٣٥]

نجد أن الله في هذه الآية امتدح فعلهم من خوفهم من الله إذا ما فعلوا ذنب أو ظلموا أنفسهم بالوقوع في كبيرة ذكروا الله فلجئوا إليه راجين منه أن يعفو علموا أنه ليس هناك آخر يغفر ويعفو ويصفح فلجأوا إليه وأنظر إلى حرف الفاء في كلمة فاستغفروا لذنوبهم والفاء هنا تفيد السرعة أي أنهم رجعوا إلى الله وتذكروه بسرعة

فندموا على ما اقترفوا من الذنوب والمعاصي فطلبوا منه العفو والمغفرة وعلموا أن لهم ربا يغفر الذنوب فتوجهوا إليه وحده راجين عفوه وصفحه عن زلاتهم.

سادسا: طرق أبواب السماء "الدعاء":

من أهم العوامل المساعدة على التوبة هو طلب الثبات من الله عزوجل لأن الله سبحانه وتعالى هو القادر على تثبيت القلوب على التوبة كما قال رسولنا - ﷺ - " إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء".

- واعلم أن الله هو الذي دعاك إلى دعائه ووعدك بالإجابة **قال تعالى**:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]

فهو الذي دعا جميع الناس إلى دعائه ووعدهم بسرعة الاستجابة لهم.

- واعلم أن الله هو الغني عن كل الناس لكنه دعاهم إلى دعائه كي يَمَنّ عليهم من فضله: كما قال في الحديث القدسي " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضالاً إلاّ هَدَيْتهُ فأستهدوني أهديكم، يا عبادي كلكم جائع إلاّ من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلاّ من كسوته فاستكسوني أكسوكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وَجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك من ملكي شيئا،

ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وانسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد فسألني كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئا إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد شراً فلا يلومن إلاّ نفسه".

- واعلم أن من اعتمد على الناس في قضاء حوائجه لم تقضَ حوائجه وزُدت عليه مطالب الدنيا أما من توكل على الله فقد توكل على كريم وقضيت حوائجه وخففها الله عنه: قال رسول الله -ﷺ- "من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل"

واعلم أنك تقصد كريم وليس شيئاً أكرم على الله من أن يقصده أحدكم بالدعاء: قال رسول الله -ﷺ- "ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء".

واعلم أن قضاء الله لابد أن يتحقق ولا يرده شيئا إلاّ الدعاء: قال رسول الله -ﷺ- " لا يرد القضاء إلاّ الدعاء ولا يزد في العمر إلاّ البر".

واعلم أن للرحمة أبواباً ومن أبوابها الدعاء: قال رسول الله -ﷺ- " من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سأل الله شيئاً يعني أحب إليه من أن يسأل العافية".

واعلم أن الدعاء لابد نافعك : قال رسول الله -ﷺ- " إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء".

واعلم أن الله لا يُبَالى بمغفرة ذنوب الناس لكن عليك أولاً عليك أن تلجأ إليه بالدعاء طالباً مغفرة الذنوب: قال رسول الله - ﷺ - " قال الرب تبارك وتعالى : يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالي يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرني غفرت لك ولا أبالى يا بن آدم إنك لو أتيتني بتراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بترابها مغفرة".

واعلم أنك تقصد بدعائك كريم يستحي من العبد إذا رفع يديه إليه قاصداً وجهه أن يردهما فارغتين: قال رسول الله - ﷺ - " إن الله حي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه لن يردهما صفرا خائبين" فأنظر إلى كرم الكريم وكيف أنه يستحي من دعاء عبده إليه أن يرده خائبا من غير أن يجيب دعائه فخذها فرصة وهب إلى دعائه وأطلب منه المغفرة وأطلب منه العفو والصفح ولا تتردد في الدعاء وأيقن بالإجابة من الله جل وعلا فالدعاء على ثلاثة مراحل من الإجابة كما قال رسول الله - ﷺ - " ما من رجل يدعو الله بدعاء إلاّ استجاب له فإما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يُكَفْر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يَدْعِ بإثم أو بقطيعة رحم أو يستعجل".

وكن عند حسن ظن الله بك وقم بدعائه عسى أن يقبل وعسى أن يرحم فإنك تقصد كريم رحيم مجيب للدعاء يرحم من يدعوه ويثق به ويتوكل عليه ويدعوه ويحسن الظن به ويوقن بالإجابة ويمتنع عن دعاء غيره ويعلم أن التوكل على غير الله غير ممكن وأن الإجابة للدعاء موقوفة على التوجه بها لله عز وجل قال رسول الله - ﷺ - " إن الله يقول أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني".

*لكن اعلم أن للدعاء شروط لابد من توافرها عند الدعاء:

أولا:الإخلاص :

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [لقمان:٣٢]

ثانيا:إطابة الأكل:

قال رسول الله -ﷺ- " أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين **فقال:**

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

[المؤمنون:٥١]

وقال أيضا :

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [البقرة:١٧٥]

ثم ذكَرَ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب ، يارب ومطعمه حرام ومشربه حرامَ وغذى بالحرام فأنى يستجاب له".

ثالثا: حضور القلب:

قال رسول الله -ﷺ- " القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله عز وجل أيها الناس فأسالوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل" فاحذر من الغفلة وكن ممن يدعو فيعي ما يقول بقلب يقظان على يقين من الإجابة فربه وعده بإجابة دعائه فكل ما عليه أن يرفع أكفه إلى السماء سائلاً الله عز وجل من كل خير وبعد ينتظر الإجابة لوعد ربه جل وعلا له بالإجابة.

رابعا: الدعاء بالخير وعدم الإستعجال:

قال رسول الله ﷺ" يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي" وقال أيضا "ما من أحد يدعو بدعاء إلا أتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم" فيا عبد أكثر من دعاء ربك بالخير ولا تعْجَل في استجابة الدعاء فالله تعالى مجيب للدعاء فهو الكريم الذي يوسع في العطايا فهو يَمُنّ على عبده لكن يكره تعجل الطلب وادعوه وأنت موقن بالإجابة.

وهناك أوقات يستحب لك فيها الدعاء:

يوم الجمعة: قال رسول الله -ﷺ- " فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله تعالى شيئاً إلاّ أعطاه" فالله جل وعلا يفتح أبواب القبول في هذا الوقت من يوم الجمعة فلا تغفل عنه وكن على يقين من إجابة الدعاء في ذلك الوقت.

وقال العلماء هي برهة صغيرة من الوقت ورجحوا أنها من بعد صلاة العصر وحتى غروب الشمس وكلمة ساعة ليست ساعة بالمعنى المتداول بيننا ولكن يراد بها القليل من الوقت.

في الثلث الأخير من الليل: قال رسول الله -ﷺ- " إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه وذلك في كل ليلة".

وقال ﷺ أيضا :" ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له"

وهذه من الفرص العظيمة التي يجب أن يستغلها الإنسان ويحسن الدعاء فيها فيطلب من ربه كل خير له ولأمته في هذه وهو على يقين من الإجابة فلا بد من تحمل المشقات للحصول على المراد حتى تتمكن من الحصول على ما تريد فالله عزوجل يوزع عطاياه في هذه الأوقات لمن يريد الحصول عليها ففي بعض الأثر "للحصول على العسل لابد من تحمل أذى النحل".

الدعاء في ليلة القدر :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة، ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال " قولي: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فأعف عنى"وهي ليلة تنزل فيها البركات وتكثر فيها العطايا من العزيز الغفار وتفتح فيها أبواب الرحمات ويحل الرضا من الرحمن فلا بد من استغلالها على الوجه الأمثل

من قيام اللَّيل ودعاءً واستغفارًا للعزيز الغفار لكي يرضى الرب ويحل الصفح والغفران فربنا تباركت أسماؤه يعطي عطايا كثيرة في هذه الليلة.

بين الأذان والإقامة:

قال رسول الله - ﷺ - "الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة " فهذه بشرى من الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى بأن الله عزوجل لا يرد دعاء رجل دعا بخير في هذا الوقت الثمين الذي يغفل عنه كثير من المسلمين فهيا أيها المصلي لحّ في الدعاء ولا تيأس منه وكن على يقين من إجابة الدعاء في هذه الأوقات الثمينة وكن ممن يستغل الفرص فالله هو الذي دعاك إلى دعائه في هذه الأوقات الثمينة ووعدك بالإجابة فلا تيأس من الدعاء وكن ممن يستغل هذه الفرص التي تكون سبباً في إجابة الدعوات.

***ويستحب بل ويرغب في دعاء الصالحين الأحياء:**

فعن أبى نضرة عن أسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر : هل هاهنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال عمر : إن رسول الله ﷺ قد قال : "إن رجلا يأتيكم من أهل اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم"

قال النووى: وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم.

وورد أنه حدثت في عهد عمر بن الخطاب أن قل المطر ومات الزرع فوقف الصحابة عند عمر بن الخطاب فقال عمر اللهم إنا كنا نستسقيك برسول الله وقد مات رسول الله واليوم نحن نستسقيك بعم رسول الله وقدم العباس عم رسول الله ونزل المطر.

وفي هذا الأثر نجد أن طلب الدعاء من الأموات وإن كان رسول الله - ﷺ - لا يجوز ولا ينفع فهم أحوج منا إلى الدعاء لهم فهم قطعت أعمالهم ووقفت أما الأحياء فإنه يجوز طلب الدعاء ممن نظن أنهم أهل للصلاح والفضل مثلما فعل عمر بن الخطاب مع عم الرسول فقدمه للدعاء لهم ونزل المطر ولم يستعن في دعائه برسول الله بعد موته لأنه بموت رسول الله قطع عمله إلاَّ من ثلاث ولد صالح أو علم ينتفع به أو صدقة جارية مع أننا نؤمن أن رسول الله هو أعظم البشر كلهم.

- فلا يجوز الذهاب إلى ولي أو نبي أو أي أحد من الصالحين من أجل طلب المغفرة والصفح والعفو ولا يجوز أن أجعلهم واسطة بينه وبين الله فهم في أشد الحاجة إلى الدعاء لهم منا وليس الدعاء لنا فالدعاء هو عبادة ولا يجوز إشراك أحد في العبادة مع الله عز وجل وإنما أجاز العلماء أن نجعل الصالح الحي يدعوا لنا لوجد النصوص الدالة على ذلك وهذا ما عرضناه في الحديثين السابقين لعمر بن الخطاب.

فإياك إياك أن تستعين بميت في قضاء حاجتك فإن الميت لا يضر ولا ينفع و الجأ إلى الله بدعائك لأنه القادر على إجابة الدعاء وحده ولا تشرك غيره في عبادة ارتضاها لنفسه سبحانه نزيه عن الشريك نزيه عن الند لا يضاهيه أحد .

سابعا: العلم بالله :

من عرف الله خاف أن يعصيه ومن عرفه متصفاً بصفات الكمال رجا منه العفو والصفح والمغفرة.

الله سبحانه اتصف بصفات الكمال منزهةً من صفات النقص وأعلم أن ذات الله لا تشبه أي ذات من ذوات المخلوقين فالله هو الكمال الذي لا كمال بعده **قال تعالى**:

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]

من علم الله متصفا بالرحمة طلب منه الرحمة وعرف أنه وحده القادر على أن يرحم ازداد له حبا وشوقاً إلى الدخول في رحمته فهو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء.

ومن علم الله متصفا بالقوة والانتقام زاد في نفسهِ خوفاً ورهبةً وإجلالاً وتقديراً واحتراماً.

من علم أن الله هو المقدر لهذا الكون زاد له إجلالاً واحتراماً وتوكلاً عليه ورضي بقضائه لعلمه أنه المقدر لهذا الكون وأحس بالأمان لأنه وضع تقدير الكون في يدي الخالق البارئ المقدر المقتدر **قال تعالى** :

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

[السجدة:١١]

من علم الله خالقا أبدع وصور هذا الكون أحس بأنه يعبد قادر مبدع وزاد حبا له وتعظيما له وأحس بجلال من يعبده فإن النفس تميل إلى ذو الذوق الجميل المرهف ومن أحسن ذوقا من الله عزوجل أبدع وصور من غير أن يساعده أحد من البشر فهو القدير المبدع المصور الخالق البارئ.

من علم أن الله يمكر بمن عصاه خاف من مكره عزوجل به وهي من الصفات التي امتدح الله فيها المؤمنون من أنهم يخافون من مكر الله عزوجل **قال تعالى**:

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [المعارج:٢٧-٢٨]

- من علم أن الله سبحانه وتعالى متصفا بصفة العلم وَعَلِم أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور خاف أن يعصاه مخافة علمه بمعصيته **قال تعالى**:

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء:٢٢٠]

أي أنه يسمع ويرى كل شيء وأن الله يعلم ما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

- من علم أن الله حي لا يموت عرف أنه بحق الباقي الذي لا يزول وعبده وتوجه إليه بالذل والخضوع لرقبته يعبده لا يشرك به شيئاً فهو الحي وكل الناس تموت **قال تعالى**:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران:٢]

- من عرف الله متصفاً بالسمع والبصر إستحى من أن يراه أو يسمعه وهو على معصيةٍ ، وأعلم إن سمع الله ليس كسمع الناس كما بينت عائشة رضي الله

عنها سعة سمع الله حيث قالت" الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات" أي وسع سمعه كل الأصوات لو اجتمعت في آن واحد.

وقال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المُلك:١٩]

وهذه الآية فيها دليل على سعة بصر الله حيث أنه يرى كل الطير ويمسكها عند طيرانها في السماء.

- وأعلم أنه لابد من الإيمان بالله ويقتضي الإيمان بأسمائه وصفاته وهذه تكون على ثلاثة أسس:-

الأول: تنزيهه عن أن يشبهه شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين **قال تعالى** :

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]

الثاني : الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم به منه **قال تعالى** :

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة:١٤٠]

الثالث: الإيمان بما وصفه به رسوله - ﷺ - لأنه لا أعلم بالله بعد الله من رسول الله - ﷺ - الذي قال الله في حقه :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم:٣-٤]

واعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الذي عرفنا بنفسه وبدون ذلك سيبقى الإيمان بالله فكرة غامضة لا تعطى ثمارها الطيبة.

فمن عرف الله معرفة قوية زاد بالله حباً وعلماً وخوفاً ومن عَلِمَ أن لله صفات عظيمة كثر تمجيده له وثناءه عليه.

ومن عرف أن أحب الأشياء إلى الله أسماؤه دعاه بها كما **قال تعالى**:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠]

فالله تعالى دعاك إلى دعائه وهو أعلم بما ينفعك فألزم في دعائك لله دعائه بما يحب وادعوه بأسمائه عسى أن يرحم فإذا دعوته بأسمائه استحى أن يرد دعائك.

من عَلِمَ عن الله وعن صفاته وكماله زاد تعلقا به فالذي يعلم أن الرزق بيد الله لا يطلب الرزق من أحد غير الله والذي يعلم أن الله هو الجبار المنتقم المتكبر خاف من عقابه ومن غضبه والذي يعلم أن الله هو الغفور الرحيم الودود زاد حبا به وتعلقا به وعرف الطريق لطلب المغفرة **قال تعالى**:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

[آل عمران:١٣٥]

والرحمة والود والأنس به فهو الخليل ونعمت به من صحبة.

واعْلَم أن علمك بالله خير حصن لك فهو الحصن الحصين من الشيطان الرجيم وهو الذي يحميك فإذا ذكرته خاف الشيطان وفر هارباً.

وبعلمك بالله تعلم ما يحبه وما يكرهه وتبعد نفسك عن كل ما يكرهه وتفعل ما يحبه وتتقرب له بكل ما يحبه ورضي عنه وأمر به.

من علم أن الله مدبر لهذا الكون عرف أنه يعبد عاقل يتحكم في الكون بحكمة وزاد فيه حُبّاً وجلالاً ووقاراً أن النفس تأنس للعاقل المدبر بحكمة ومن نظر في السماء وكيف أحكم الله خلقها فترى الكوكب في السماء يسير في مجاله لا يخرج عنه ولا يصطدم بغيره عرف مدى دقة الخالق الذي أحسن كل شيء خلقه ومن يرى كيف سوى الله الإنسان وكيف صوره في أحسن صورة عرف أن الله أختاره بحكمةٍ ليقود هذا الكون لما يريده الله عزوجل **قال تعالى** :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين:٤]

ومن عَلِمَ أن الله وضع نظاماً دقيقاً لهذا الكون زاد به تعلقا لأن النفس تألف النظام **قال تعالى**:

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الرحمن:٥]

أي أنه وضع نظامها بدقة متناهية فلا يسبق القمر الشمس ولا يأتي الليل قبل النهار **قال تعالى**:

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠]

فسبحان منظم هذا الكون تنظيما دقيقا لا يعدله تنظيم أي مخلوق آخر فهو مقدر المقادير سبحانه لا شريك له.

ومن علم أن الله هو الواحد الفرد الصمد توجه إليه وحده بالعبادة وعلم أنه الغنى عن الشريك وعن الند وعن الواسطة ونقى نفسه من براثن الشرك التي تؤدى به إلى الهلاك ودخول النار **قال تعالى**:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص ١ :٤]

من علم أن الله يمسك الأرضيين على إصبع والسماء على إصبع والعرش على إصبع علم أن قوة الله ليس لها حدود وزاد خوفاً من بطشه وزاد تعلقاً به لأن النفس تركن وتميل إلى القوى الذي تهابه القلوب ومن يهابه الخلق أكثر من الله جل وعلا تباركت أسماؤه وعظم جاهه القوى المتين الذي خضعت لعظمته الجباه فهو الحق الوحيد في هذه الدنيا وكل ما يدعون من دونه لا يملكون دفع الضر عن أنفسهم.

من زاد علمه بالله زاد إيمانا به وشعوراً بالقوة والثبات لأن العبد لا يركن إلا إلى القوى القادر الغالب.

ثامنا: التوكل على الله :

اعلم أن الله جل وعلا هو الذي دعاك إلى التوكل عليه في كل شيء فهو بيده مقادير كل شيء سبحانه وتعالى القادر على كل شيء **قال تعالى**:

﴿... وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة:٢٣]

بل وجعل من يتوكل على الله فهو حسبه.

وإعلم أن الله تعالى هو خير من تتوكل عليه فهو وكيلك ومعينك على قضاء كل حوائجك دون الحاجة إلى أي شخص آخر من البشر فهو غني عن كل الناس قال تعالى مناديا عباده إلى ضرورة التوكل على الله جل وعلا:

﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق:٣]

أي هو كافيه ومعينه على قضاء هذه الحوائج فمن غيره قادراً على إعانتك من غير الله تبارك وتعالى.

وأعلم أنه إذا مر بك خطب أو أردت أن تفعل شيئا فكل ما عليك هو التوكل على الله تعالى من أجل تحقيق ذلك الغرض **قال تعالى**:

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران:١٥٩]

فالتوكل على الله لابد أن يكون عند الشروع في فعل أي شيء.

وأعلم إن من علا مات حب الله لك كثرة توكلك على الله جل وعلا فبكثرة توكلك على الله يحبك الله جل وعلا **قال تعالى**:

﴿... إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩]

فأبشر يا من تتوكل على الله بحب الله لك وكيف لا يحب المتوكلين وهم آمنوا بأنه ليست في الدنيا أي شيء إلاّ بمشيئته فتوكلوا عليه فأحبهم وكفاهم عن سؤال غيره من الناس.

وأعلم انه إذا تحزب الناس ضدك وحذرك بعض الناس منهم مع أنهم على الباطل والضلال اعلم أنك بتوكلك على الله يكفيكهم ويبعدك عن أذاهم ويعصمك من شرهم وذلك بتوكلك عليه جل وعلا **قال تعالى**:

" ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران:١٧٣]

فوالله نعم الوكيل ونعم الحافظ ونعم الناصر وأبشر فالله هو الذي يتولى الدفاع عنك فهو كافيك وحسبك الله فالله هو القوي هو القادر هو القاهر.

واعلم أنها من علامات الإيمان التي امتدح بها الله عباده المؤمنين الموحدين له السائرين على طريقه المستقيم **قال تعالى**:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال:٢]

فمن علامات إيمانهم أنهم إذا ذكر الله وجنت القلوب وخافت من الجبار وعندما تُتلى عليهم آياته زادتهم إيمانا وتصديقاً لكلام ربهم الذي بلغ به الصادق

الذي لا ينطق عن الهوى وأن من علامات إيمانهم بالله أيضا توكلهم على الله فهم علموا أن لهم ربا كافيهم عن غيرهم فآمنوا به وتركوا كل الناس وتوجهوا إليه بالتوحيد الخالص حتى في قضاء حوائجهم ومن يقضي الحوائج إلا الله.

واعلم أن هناك أناس سيدخلون الجنة بغير حساب هم سبعون ألفا وقد حدد النبي -ﷺ- شروط من يريد الدخول معهم فقال -ﷺ- " هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون" فبتوكلك على الله قد حققت شرط من شروط دخول الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب وذلك بحسن التوكل عليه والاعتصام به فهو خير من تتوكل عليه وخير من تعتصم به دلوني على رجل توكل على الله في أي شيء وخذله و دلوني على رجل اعتصم بالله فتخلى عنه فيا من يأس من النصير بتوكلك على الله ينصرك ويا من يأس من المعين فبتوكلك على الله يعينك وباعتصامك بالله حق العصمة يعصمك من الناس **قال تعالى** لرسوله -ﷺ- في كتابه العزيز:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧]

عندما توكل عليه وصدع لأمر ربه جل وعلا وبدأ في دعوة الناس لعبادة رب الناس.

واعلم أن التوكل هو الاستعانة ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله ولو بعد حين فإن كان مرضيا نال الرضا وأن كان مسخوطاً مبغوضاً كان ما حصل له بتوكله مضر وغير نافع قال رسول الله -ﷺ- " لو أنكم تتوكلون على

الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا" فبتوكلك على الله في العمل وعلمك بأنه هو الرازق الوهاب مع أخذك بأسباب الرزق من توكلك على الله وخروجك للعمل فورد عن عمر بن الخطاب "أنه دخل مسجد النبي فوجد أناسا يجلسون يذكرون الله ويقرأون القرآن ولا يعملون فقال لهم عمر من أنتم ؟ قالوا نحن المتوكلون فقال لهم بل أنتم المتواكلون قوموا وأعملوا ولا تجلسوا إن السماء لا تمطر ذهبا وفضة" فلا بد من التوكل على الله جل وعلا مع الأخذ بأسباب الرزق من الجد وبذل الجهد للحصول عليه وعندها يأتي الرزق فالله تعالى هو الذي وعدك بذلك فكل ما عليك هو الأخذ بأسباب الرزق وعندها يكون الفتح في الرزق والتوسعة في كل شيء **قال تعالى**:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ [التوبة:١٠٥]

والرسول دعا جميع المسلمين والمؤمنين لكي يتوكلوا على الله في كل أمور الحياة ويدعوه بأن يرزقهم التوكل عليه فمن غيره قادر على النفع والضر لكن عليك حُسْن التوكل عليه فلا تتواكل وكن ممن يأخذ بالأسباب في توكله على الله جل وعلا.

- فمن الأدعية التي وردت عن الرسول في طلب التوكل من الله كثيرة منها:

"اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت" ومنها أيضا دعاء الخروج من المنزل" بسم الله توكلت على الله يقال له هديت وكفيت وتخلى عنه الشيطان".

- ومنها دعاء الاستخارة فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول " إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر- ويسمي حاجته- خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فأقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فأصرفه عني واصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به" وما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين وتثبت أمره فقد **قال سبحانه** :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩]

******